

المقاولة الحرفية وإشكالية تنمية الإبداع في عصر العولمة

Craft entrepreneurship and the problem of developing creativity in the era of globalization

كريمة فلاح¹، السعيد رشيد²¹ جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، karimafellahi@yahoo.fr² جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، saidrechidi@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/12/16 تاريخ القبول: 2022/06/12 تاريخ النشر: 2022/12/31

Abstract:

ملخص:

This research aims to discuss the challenges facing the craft enterprise during its work, to develop creativity in the modern age, which aims to push the enhancement and development of the craft product.

It concluded that this role is contested by the craftsman's desire to preserve earnestly the cultural heritage from one, and creativity, inspired, and employed on the other one, in addition to the fact that the creative craftsmen in society vary among themselves in understanding, perception and formation, moreover, they have to keep up with the new of globalization and social transformations. With their assertion that the whole matter in the end, depends on the use of modern technology.

Keywords: Entrepreneurship; crafts; development; creativity; inheritance.

تهدف هذه الورقة البحثية إلى مناقشة التحديات التي تواجه المقاولة الحرفية في أثناء عملها، لتنمية الإبداع في العصر الحديث، والهادف إلى الدفع نحو تجويد المنتج الحرفي وتطويره.

وخلصت إلى أن هذا الدور تتازعه الرغبة لدى الحرفي في المحافظة على الموروث الثقافي قلبا وقالبا من جهة، والإبداع استلهاما وتوظيفا من جهة ثانية، إلى جانب كون الحرفيون المبدعون في المجتمع يتفاوتون فيما بينهم في الفهم والإدراك والتشكيل، وأن عليهم أن يسايروا جديد العولمة والتحويلات المجتمعية. مع جزمهم بأن الأمر برمته في النهاية، منوط باستخدام معيات التكنولوجيا الحديثة.

كلمات مفتاحية: مقاولة؛ حرف؛ تنمية؛ إبداع؛ موروث.

1. مقدمة :

تعد المقاولاتية بصفة عامة، والمقاولاتية الحرفية بصفة خاصة، من أهم الآليات الفعالة في النهوض بالاقتصاديات الوطنية، وتنمية المجتمعات المحلية، لما لها من أهمية بالغة في غرس روح المبادرة وزيادة فرص نجاح الأعمال، إذ تلعب دورا مهما وحيويا، في إكساب الأفراد المعارف، والمهارات، والقيم، كما تعد آلية ناجحة لاستحداث الأفكار المبدعة، فضلا عن أنها تمثل أرضية متينة يطور المقاول الحرفي من خلالها معارفه ومداركه، ليتحول إلى الإبداع والابتكار، وهو ما ينعكس إيجابا على أداءه، وعلى تحقيق العدالة الاجتماعية، ومحاربة الفقر، والآفات الاجتماعية. ومن ثم تحقيق حياة أفضل لهم وللمجتمع.

ومن ثم فزيادة على الأبعاد الاقتصادية، والاجتماعية، فإن المرجو من المقاولات الحرفية أن تلعب دورا مهما وحيويا، ذلك أن الحرف وإلى جانب كونه نشاط لازم للإنسان منذ القدم، ومكنه من توفير مختلف مستلزماته، فهي تمثل الذاكرة التاريخية والجماعية التي تعكس أصالة المجتمع وهويته، وهي إلى جانب هذا، تمثل أيضا أسلوب حياة بكل ما تتطوي عليه من تراث مادي ومعنوي حي. ولذلك فالمؤمل من المقولة الحرفية أن تلعب دورا كبيرا في إكساب الأفراد المعارف، والمهارات، والقيم، كما تعمل على تنمية ميولهم واتجاهاتهم نحوها، بما يسهم في تنمية الإبداع، وإدراكهم لأهميته، وجعلهم أكثر وعيا بكيفية التعامل معه، وبنحو حضاري نابع من تقديرهم واهتمامهم، ومن ثم تحقيق حياة أفضل لهم وللمجتمع، على حد سواء، من خلال ما تقوم به من أدوار، وما تنتجه من منتجات.

حيث تتوافر في كثير من دول العالم الثالث، والجزائر على وجه الخصوص، العديد من الحرف والصناعات التقليدية، وكذا المواد الخام، التي لم يتم استغلالها بعد، لا اجتماعيا، ولا ثقافيا، ولا حتى اقتصاديا، بطريقة مثلى لمصلحة تلك الأوطان ومواطنيها. ذلك أن هذه الحرف تخزن الكثير من المعارف والخبرات التي اكتسبها الإنسان بالتراكم والتجريب وأسهمت في حل كثير من إشكالاته الحياتية لسنين عدة. ومن جهة أخرى، وبالنظر إلى التقدم التكنولوجي والمعلوماتي الكبير، وتعاظم دور تكنولوجيات الإعلام والاتصال، أين أصبح العالم اليوم بمثابة قرية صغيرة، يؤثر بعضه في البعض الآخر تحت ما يسمى بالعولمة، هذه العولمة التي نقلت كثيرا من عادات الشعوب الأخرى وقيمها، إلى الآخر. وهو ما شكل تحديا، وتهديدا لقيم المجتمع وعاداته، اهتماماته وحاجياته التي تناسبه، وأصبح معه الإبداع مطلب أساسي لمواجهة هذه التحديات. وأصبح معه المجتمع المحلي مطالب أكثر من أي وقت مضى، بالقيام بدور كبير في غرس وتشكيل قيم الإبداع تماشيا مع المعارف المحلية بما في ذلك نظم كسب الرزق. وبما يتناسب ويتكيف مع طلب السوق. ذلك أن وضع الاقتصاد المحلي يكتسي أهمية متزايدة لأن الدفع نحو العولمة يخلق منتجات تنتج من خلال تحديد أولويات الآلات والإنتاج بكميات كبيرة، بينما يعتمد الاقتصاد المحلي على البشر بوصفهم جوهر الإبداع والابتكار.

ومن ثم، وعلى الرغم من أن أهمية صناعة الحرف اليدوية قد أدركت قبل فترة طويلة، فقد واجه هذا القطاع عدة تحديات من قبيل التصنيع والعولمة، فالحرفيين أصبحوا غير قادرين على التنافس مع وحدات صناعية جيدة التنظيم، إلى جانب اضطرارهم إلى بيع منتجاتهم بأسعار أقل. كما أن التصنيع قد أدى إلى تغيير نمط الحياة، واحتياجات العملاء، ونتيجة لذلك، أصبحت المنتجات الحرفية تفقد السوق ببطء، ويتناقص مستهلكوها كلما أصبحت المنتجات الصناعية أكثر تطوراً، مما يجبر الحرفيين على التخلي عن أعمالهم والانتقال إلى نشاط آخر. ونتيجة لذلك، تلاشت الصناعات اليدوية وفقدت مكانتها في المجتمع بينما ازدهرت المنتجات الصناعية، بسبب تفوقها في استدامة المواد من جهة وقيمها الاقتصادية من جهة أخرى. ولأجل ذلك، وفي عصر العولمة والتغير الاقتصادي السريع هذا، يلزم تجديد هذا التراث وحمايته، لأنه من الممكن أن يختفي إلى الأبد.

ومن هذا المنطلق فقد حظي الإبداع المقاوлаты الحرفي في الآونة الأخيرة، بقدر كبير من الاهتمام من طرف الباحثين ورجال السياسة على حد سواء، لما له من أهمية إستراتيجية للنهوض بالتنمية الاقتصادية، الاجتماعية وحتى الثقافية، والجزائر واحدة من هذه الدول، التي أدركت أهمية الإبداع لدى المقاومة الحرفية فأعطتها دعمها الكامل لإحيائها، من خلال تطبيق عدة إجراءات منها دعم وتعزيز موقع ومكانة الصناعة التقليدية على المستوى المحلي والوطني، إلى جانب إبراز أهمية العمل اليدوي الإبداعي وغيرها. ومع ذلك فلا تزال الكتابات المتعلقة بالحفاظ على صناعة الحرف اليدوية شحيحة جداً، فما بالك ما تعلق منها بتنمية الإبداع، فقد ركزت جل الدراسات على أهمية الوعي، والحفاظ على التراث الملموس منه، مثل التراث المبني كالأثار وما إلى ذلك، غير أن التراث الثقافي غير المادي المتجسد في الحرف التقليدية مختلف في طبيعته عن التراث المبني، حيث لا يمكن ببساطة التفاعل مع التقنيات والمهارات أو لمسها باستخدام وسائل أخرى أو بدونها. ومن ثم، فإن العديد من تقنيات الصياغة التقليدية تصبح بالتالي عرضة للتأثر. وفي هذا الإطار يطرح التساؤل حول التحديات التي تواجه المقاوлаты الحرفي أثناء عمله، لأجل تنمية الإبداع في المجتمع الجزائري.

أهمية الدراسة:

تتبع أهمية الدراسة، من أهمية الموضوع في حد ذاته، والمتمثل في إشكالية تنمية الإبداع لدى المقاومة الحرفية، هذا من جهة، ومن جهة ثانية في ضوء تلك الندرة الملحوظة في كم البحوث والدراسات الخاصة بالإبداع المقاوлаты في الجزائر. والتي مع ندرتها ركزت على الأبعاد الاقتصادية للإبداع وأغفلت الأبعاد الاجتماعية والثقافية.

أهداف الدراسة:

- إبراز طبيعة الإبداع المقاولاتي وأهميته.
- أبرز أهم مصادر الموروث الثقافي الحرفي.
- البحث في أهم الشروط الواجب توفرها في العمل الحرفي التراثي.
- البحث في أهم مراحل العملية الإبداعية.
- دفع المورد البشري إلى الإبداع، سواء من خلال الاستلهام من موروثاتنا الثقافية، أو من خلال الاستفادة من التراث العالمي.

2. المقاولة الحرفية والحاجة إلى الاستثمار في الموروث الثقافي:

تدعو الحاجة اليوم، أكثر من أي وقت مضى، إلى الاستثمار في الموروثات الثقافية للشعوب، كل حسب حاجته، إذ يقول الدكتور ليب أن الموروث الثقافي يعد مادة مهمة للبحوث العلمية من أجل الوصول إلى معرفة متكاملة عن الشعوب، وحضارتها، وثقافتها" (Iipe, 1984, p. 06). كونه سجل حقيقي لمختلف البنى الفكرية، الاجتماعية، والثقافية للمجتمع، وهو ما يسهم في الكشف عن خصوصيته. فللموروث الثقافي أهميته الإنسانية والاجتماعية، إذ يمكن الجيل الجديد من الاطلاع على تراث الأجداد، بما يسمح بتعزيز روحه الوطنية، وتحفيز قدرته الإبداعية من خلال معرفته للكيفية أو الطريقة التي واجه بها من سبقوه مشكلات حياتهم. إلى جانب كونه يساعد في الاطلاع على تراث الأخر، والاستفادة من بدائله المختلفة لمواجهة تحديات المستقبل. ذلك أن الموروث الثقافي "يشكل في مجمله نتاجا إنسانيا متعدد الأصول والروافد، فمنه ما هو أصيل مقيم نتاج بيئته، ومنه ما هو وافد مع هجرات شعوب الجوار، ومنه ما نتج عن تفاعلنا مع ثقافات الأمصار التي مرت بها سفن الأقدمين، فأختلط هذا المزيج وتفاعل مع المزاج الخاص لوجداننا الجمعي وأستقر مؤثرا في كل ما حولنا، يمكننا فرزته وتحديد منابعه لكن لا يمكننا إنكاره أو سلخه عن لحمه تراثنا الشعبي فقد تمت إعادة صياغته وربما تم تغيير وظيفته (خليفة، 2013، صفحة 19). وفي ذلك يرى الجابري "أن العودة إلى التراث في حياتنا المعاصرة هي جزء من عملية الدفاع عن الذات، وهي عملية مشروعة وتشارك فيها جميع شعوب الأرض". (الجابري، 1999، صفحة 252).

غير أنه ورغم قيمته وأهميته لازالت النظرة إليه غير موحدة، فهناك من يعلي من شأنه وهناك من يهون من قيمته، وهناك من هو بين بين. ونتج عن هذا الاختلاف في الآراء أن صار الموروث الثقافي ساحة للمصراع باسم الحداثة تارة، وباسم الأصالة تارة أخرى. ومن ثم فالحاجة تدعو كل المؤسسات المعنية برعايته وحفظه إلى مواصلة جهودها المكثفة في توفير كل سبل الرعاية والدعم اللازمين.

وفي هذا الإطار تعد المقاولة الحرفية وليدة الظروف التي يعيشها المجتمع، وهي إحدى وسائله لاستلهام الموروث الثقافي ونقله للأجيال القادمة، بما تعبر عنه من جوانب الإبداع الشعبي، إذ تفسح المجال للابتكار

والتغيير، وتتيح للحرفيين الحرية للتعبير عن تصوراتهم، مع السعي إلى تحقيقها، وبما تعكسه من تفاعل للإنسان مع بيئته. ذلك أنها تعكس تاريخه، عاداته، اهتماماته، قيمه، ومصالحه، فهي إذا تمثل حي لأسلوب حياتهم.

ومن هذا المنطلق فإن دور المقالة الحرفية في الجزائر قد ظهر بشكل متنامي منذ منتصف التسعينيات، في إطار التوجه التنموي الوطني الهادف إلى تنويع الاقتصاد الوطني وترشيده، وتأهيله للمنافسة الدولية، من خلال الاستثمار في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، وهو ما دفع بقطاع الصناعة التقليدية والحرف إلى الواجهة، لاعتماده على المورد البشري المحلي، وكذا الخامات المحلية، وهو ما يخلق تنمية جهوية متوازنة، ويرفع من مستوى المعيشة لهؤلاء، ويساهم في التنمية المستدامة، ليكتسب بذلك هذا القطاع أهمية إستراتيجية ويصبح محل اهتمام السلطات العمومية.

وفي هذا الإطار، فإن لهذه المنتجات الحرفية الأصيلة أبعاد ثقافية، حضارية، واجتماعية:

- فالمنتج الحرفي ذو بعد ثقافي، لأنه يعكس الموروث الثقافي التاريخي للبلد والذي يعد وليد البيئة التي ينشأ فيها ويعتبر انعكاساً للواقع، إذ يرتبط بالسمات النوعية لحياة الشعوب ونظامها وتقاليدها وشخصيات أفرادها، ويعبر عن هويتها وبصماتها كما أنه متوارث عبر الأجيال المتعاقبة.
 - وذو بعد حضاري لأن المنتج التقليدي يتضمن مختلف أنماط الإبداع التلقائي للشعوب والجماعات سواء كانت بدائية أو متحضرة، فهو يشتمل على كل ما تم أو يتم إنجازه في الأوساط الاجتماعية بما تحويه من معتقدات وعادات وتقاليد التي تبرر سلوكاً اجتماعياً ما أو ممارسة جماعية معينة، وما يصحب ذلك من محسوسات معنوية أو ملموسات مادية تجمع بين البساطة والتلقائية اللتان تميزان شعب معين، لذا نجد المنتج التقليدي يعتمد على شكل وألوان وذوق سكانه الأوائل من رموز للحيوانات والطبيعة وأشكال هندسية مختلفة فتستعمل مواد وألوان طبيعية تظهر في العديد من المنتجات كالزرابي والصناعات الفخارية والنقش على الجبس وغيرها.
 - واجتماعي لأنه يعد مصدراً للاسترزاق والاستقرار الاجتماعي. (العمودي، 2012، صفحة 38)
- بالإضافة إلى أن ما يميز إنتاجه هو كونه معد للاستخدامات سواء داخل البيت أو خارجه، وفق ما تقتضيه عادات وتقاليد هذا المجتمع.

3. المقالة الحرفية والتنمية المحلية والثقافية:

لقد ظهر مفهوم التنمية المحلية مع ازدياد الاهتمام العالمي بالمجتمعات المحلية لكونها وسيلة لتحقيق التنمية الشاملة على المستوى الوطني، حيث تقترح التركيز على إحساس السكان بالانتماء لمكان عيشهم والأخذ بعين الاعتبار: تطلعاتهم وآمالهم، ودفعهم إلى القيام بمبادرات في جميع الميادين التي من شأنها أن

تساهم في ضمان تنمية سوسيو-اقتصادية. فالتنمية بوصفها فعلا اجتماعيا ديناميكيا يساعد المجتمع على اكتساب قدرات معرفية جديدة، تمكن المواطنين من تحسين مستواهم المعيشي، وشروط حياتهم بصفة عامة. ولهذا وفي ظل ما يواجهه المجتمع الجزائري من تحديات، والتي أثرت على القدرة الشرائية للأفراد، وما صاحبها من أزمات، من جهة، ومن استراتيجيات المواجهة المعتمدة من قبل الدولة والقائمة على تمكين الفئات الهشة من جهة أخرى، فإن المقاولة الحرفية تعد "أحد أهم الميكانزمات الاجتماعية والشعبية لمواجهة الأزمات الاجتماعية والاقتصادية الطارئة والمستقرة، وأحد أهم عوامل التمكين الاجتماعي لدعم إرهابات المحاولات المحلية المتفرقة للتنمية التعاونية المعتمدة على الذات. وهذا هو التوجه التنموي الجديد. الذي ينظر إلى الصناعات الحرفية باعتبارها مدخلا للتنمية المستدامة في مجتمعاتها المحلية" (عوض، 2011، صفحة 12)

ذلك أن المقاولة الحرفية وهي تقوم بإنتاج منتجاتها الحرفية، فإنها بهذا الصنيع تدع "فن جمالي وتراث حضاري له أبعاده الاقتصادية والثقافية العديدة المساهمة في التنمية المحلية ومن بين هذه الأبعاد:

- * إحياء تراث الأجداد والحفاظ على ذاكرة الماضي والعمل على استمراريته بما يواكب روح العصر وينمي مواهب الحرفيين ويظهر إبداعهم ومهارتهم.
- * تجسيد سياسة الاعتماد على الذات على المستوى المحلي حيث تعتمد الصناعات التقليدية على حشد الموارد والإمكانات المحلية من خامات ومهارات ومصادر تمويل محلية.
- * المساهمة في مجهودات التقليل والحد من التبعية الاقتصادية التي تواجه اقتصادات الدول النامية وتشجيع التصدير خارج المحروقات.
- * المساهمة في التنمية المحلية وتحقيق الاستقرار في المجتمع والتوازن في الأنشطة بين المحيط الريفي والمحيط الحضاري إضافة إلى المساهمة في بيئة معالم السياحة.
- * الإسهام الفعلي في رفع الدخل الحقيقي لأبناء المجتمعات الريفية والصحراوية ومحاربة الفقر عن طريق تزويد فئات عريضة من المجتمع بالمؤهلات الحرفية التي تمكنهم من الحصول على مصادر دخل دائمة" (حاجي، 2016، الصفحات 49-50).

ومما سبق نلاحظ أهمية نشر المنتج الحرفي في دفع عملية التنمية المحلية، وحتى الثقافية، وخاصة إذا كان هذا المنتج إبداعيا، مستلهما لموروث الأمة، وملبيا لاحتياجات المجتمعات المحلية، وهو ما من شأنه أن يساعد ويشجع أفراد المجتمع على الاعتماد على الذات، لمواجهة التحديات المجتمعية المختلفة، وأزماتها المتصاعدة، وحل مشكلاتها، وفي النهاية الحفاظ على جودة الحياة ومستوياتها اللائقة.

4. المقالة الحرفية والإبداع:

إن الإبداع مهارة تولد مع الإنسان، كما يمكن اكتسابها، وتطويرها، والتحكم بها، وإلا بدأت بالاضمحلال مع الوقت إذا لم يتم تمييزها. ولا يتم ذلك إلا من خلال الممارسة على أرض الواقع، ليصبح بذلك الإبداع عملية، تقوم على تحويل الأفكار الجديدة وحتى الخيالية إلى حقيقة واقعة، وينتج عنها ابتكار شيء جديد غير موجود مسبقاً إلى الوجود، سواء أكان ذلك من خلال تطوير أفكار أو أساليب أو أشياء جديدة، ومبتكرة.

ولما كان كذلك، أنه من المعلوم أن الموروث الثقافي له حركته على امتداد الزمن، وعلى رقعة المكان، وعلى الخريطة الاجتماعية، وفي نفوس ممارسيه. ولذا بعد أن كانت "الصق الصفات بالتراث الشعبي هي صفة التقليدية أو الشيوع أو الشعبية أو التكرار.. أي الاهتمام بكل شيء ينتقل اجتماعياً من الأب إلى الابن، ومن الجار إلى جاره، مستبعدا المعرفة المكتسبة عقلياً، سواء كانت متحصلة بالمجهود الفردي، أو من خلال المعرفة المنظمة والموثقة التي تكتسب داخل المؤسسات الرسمية.. أين كان الانشغال بالثقافة الشعبية أكثر من الانشغال بالشعب، وكان الاهتمام بالعناصر أو المآثرات الشعبية طاغياً على الاهتمام بصانعيها.. فقد تجاوز في تطوره هذه النظرة المغرقة في تبسيط الواقع، حيث أصبحت النظرة متوازنة إلى التراث وإلى الشعب الذي ينتج هذا التراث من خلال أفراد مبدعين ومن خلال المستهلكين أيضاً" (الجوهري، 2002، الصفحات 12-14).

وعليه فإن المجتمع الجزائري كغيره من شعوب المعمورة مرتبط بتراثه بنسب معينة ويفكر به ومن خلاله. ولكن الفرق شاسع بين من يفكر بتراث ممتد إلى الحاضر ويشكل الحاضر جزءاً منه، إذ هو تراث متجدد يخضع باستمرار إلى المراجعة والنقد، وبين من يفكر بتراث توقف عن التطور وانقطع عن ديناميكية الحياة في كل أبعادها منذ قرون كما يذهب إلى ذلك الجابري (الجابري، نحن والتراث، 1993، صفحة 22). ومن هنا وجب أن نتساءل مع جمال عليان "عما إذا كانت الحضارة الحالية على المستوى المطلوب في تقدير الذكرة واحترامها وترك دور لها، وللتاريخ، وللقيم التقليدية، ولنفس الجمال. فليس من السهل إعطاء إجابة، ولكن هناك مخاوف من أن تكون تلك الإجابة سلبية" (عليان، 2005، صفحة 44). وبالإضافة إلى ذلك، فإن هناك تخوف، من أن تصبح المقالة الحرفية أداة طبيعة في يد فئة بورجوازية، تعمد إلى التجديد، وهما الأول والأخير تعميم النهج الاستهلاكي، تعظيماً للربح وكفى.

وفي ظل هذا وذاك، فإننا نقول بأن "بقاء المهن ينبع من محاولة أربابها تبني الإبداع والتجديد. إبداع يستطيع أن يساير التغيير، مما يساهم في حفظ المهنة من الاندثار ويضمن لها البقاء والاستمرار، الأمر الذي يعكس استمراراً للتراث مع قدرته على استيعاب وهضم التغيير وإفرازه في صورة جديدة تضمن له البقاء

والاستمرار" (القرنوتي، 2002، صفحة 255). وبمقتضى هذا الفهم للإبداع الحرفي فإن هناك بعدان في التناول والطرح، البعد الأول هو المادة الخام للحرف القابلة للتحويل والتحول والتغير، والبعد الثاني هو الإنسان العامل على هذه الخامة، ومبدعها وعنصرها الأهم في التحول والتغير. ذلك أن الاستلهام الفني هو أداة من أدوات التواصل مع المادة التراثية، والتي تسمح بالمزاوجة بين زمنين، ماض وحاضر في بوتقة واحدة، من خلال المادة التراثية.

ومع ذلك، ما يزال التساؤل عن أهمية الأفراد (بغض النظر عن الطبقة أو الفئة الاجتماعية التي ينتمون إليها) في صياغة وتشكيل التراث الشعبي، فكثيرا ما عزی بعض الكتاب إلى أفراد الطبقة العليا المثقفة وحدهم القدرة المبدعة على تشكيل التراث الشعبي. ولا شك في خطأ هذا الزعم على إطلاقه، ذلك أننا يجب ألا ننسى أنه ليس جميع أفراد الطبقة العليا مبدعين، وإنما قلة منهم فقط التي تتمتع بهذه الخاصية.. كما نلاحظ من ناحية أخرى أنه ليس جميع الأفراد الذين ينتمون إلى الطبقات الدنيا يفتقرون إلى القوى الإبداعية. (الجوهري، 2002، الصفحات 20-21) وبغض النظر عن هذا وذاك، فإننا نجد أن الأفراد يتفاوتون في إبداعهم، وكل له أسلوبه الذي يتميز به، بغض النظر عن كونهم ينتمون إلى هذه الطبقة أو تلك. ثم إن النظرة إلى الإبداع في حد ذاتها تختلف من فرد إلى آخر ومن طبقة اجتماعية إلى أخرى، فما يراه فرد أو طبقة اجتماعية على أنه إبداع، قد لا يراه الآخر على أنه كذلك، بل قد يذهبون إلى أبعد من ذلك، عندما لا يعدون إبداعا مطلقا، بل هو أقرب من وجهة نظرهم إلى المسخ، والتلفيق.

5. المقاولة الحرفية، العولمة والتحويلات المجتمعية:

من المتفق عليه أن عملية إنتاج وإعادة إنتاج الموروث الثقافي وتداوله هي عملية مستمرة، ومنذ بدء الخليقة، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، طالما هناك تفاعل بين الإنسان وبيئته، ولكن التغيرات والتحويلات التي تحكم هذه العملية محكومة ومرتبطة بالعولمة من جهة والتحويلات الجارية في المجتمع من جهة أخرى.

1.5 المقاولة الحرفية والتحويلات المجتمعية:

من المتعارف عليه أن الموروث الثقافي لمجتمعنا الجزائري هو كل ما تركه أسلافنا من معارف وآداب وفنون وعادات وتقاليد ومعتقدات وقيم، تعكس نشاطهم المعرفي وطريقة تفكيرهم، وقد وفر هذا الموروث لنا أرضية خصبة للإنتاج الفني بما يحتوي من علوم ومعارف ومعتقدات قابلة لاستلهامها في بناء وتأسيس العمل التشكيلي وهي سمات وملامح رئيسية يتشكل من خلالها فكر الفنان وفلسفته وإنتاجه الفني، ويرتكز ذلك على ثلاث قواعد مهمة منها أثر الثقافة والبيئة الاجتماعية والشكل التعبيري للمضمون، إن معالجة واستلهام التراث يجب أن تكون بتفاعل وليس بجمود، وذلك من خلال تناول الأشكال التراثية وبلورتها بجمالية وبرؤية معاصرة لتنتقلنا من الجمود إلى الحركة حيث يمكن للتراث أن يعيش متفاعلا مع العصر

متجاوبا في الفكر والذوق مع الأجيال، يذكر أن الخصائص في الإبداع الفني تتمثل في تلاحم المضامين العقائدية والثقافية للفنان وملاحق بيئته التي ينتمي إليها والتي فرضت نفسها في الكثير من الاستخدامات وكذلك مظاهر الطبيعة المختلفة التي أعطته قيما جمالية هدف الفن إلى تحقيقها من خلال الموروث الحضاري باعتباره وصفا جوهريا، فهو يعطي مفاهيم جديدة للفنان المعاصر ليس من أجل أن يقوم بتقليدها وإنما من أجل أن يستفيد منها بطريقة الإدراك ويستنبط منها ما يراه مناسباً (التجاني، 2019، صفحة 70) ومع ذلك ففي "عالم تهيمن عليه الثقافة الاستهلاكية الجاهزة والمعلبة في قوالب التسلية والدغدغة الحسية، والمغذية للسطحية والوصولية، والساعية للتوحيد القياسي لأذواق الشعوب.. في موسيقاها وغنائها ورقصاتها وفنونها التشكيلية، وفي ملبسها ومأكلاها ووسائل حياتها اليومية وأنماط تفكيرها. والموجهة عبر وسائل الإعلام والاتصال الحديثة من مراكز العولمة الغربية إلى الدول والشعوب النامية بما وراءها من إرث حضاري عريق... تتراجع ملاحق الثقافة الوطنية عموما والشعبية خصوصا لدى هذه الشعوب، وتتحول فنونها، التي عاشت آلاف السنين في وجدان أبنائها كقوة معنوية محرّكة ووعاء لقيمهم ومظهر لحضارتهم، إلى آثار من الماضي، مكانه - في أحسن الأحوال - المتاحف والمحميات الثقافية كذكرى عفا عليها الزمن" (نجيب، 2011، صفحة 29).

2.5 المقالة الحرفية والعولمة:

تحمل المنتجات الحرف الجزائرية في مجملها، تاريخا عريقا من القيم الحضارية والإنسانية، وهو ما نلاحظه من خلال مضامينها ودلالاتها الرمزية. ومع ذلك فإن اندثارها أو انزوائها - كما نراه اليوم - يعكس الحالة التي أصبحت عليها اليوم. إذ تشهد "الساحة في هذه الآونة تراجعاً للإنتاج الحرفي التقليدي، وهذا بسبب هيمنة آليات تحاول طمس الفوارق الثقافية في العالم، وتكرس ما يسمى ثقافة العولمة، ويزداد الأمر سوءاً نتيجة اصطدام الثقافة التقليدية ومنتجاتها بنمط الإنتاج الرأسمالي المعاصر من خلال تقنياته وخاماته المستحدثة وتصميماته الجذابة، فضلا عن الصدمة الثقافية التي أحدثتها التكنولوجيا الحديثة" (الفتاح، 2012، صفحة 85).

ذلك أن عملية التحديث "التي تدخل على عناصر التراث غالبا ما تتطوي على تبني مؤثرات وافدة من ثقافات أجنبية.. وهنا يتعين أن نلتزم حذرا مزدوجا. الأول حذر من هذا التسريب لعناصر أجنبية إلى تراث محلي، تقليدي، جزائري. والحذر الثاني أن يؤدي حذرنا الأول إلى رفض الاتصال الثقافي، وتجريم التفاعل بين الثقافات، والانغلاق على الذات الثقافية، أي الجمود أو نحوه" (الجوهري، 2015، صفحة 117). لكن الأثر السلبي لاضمحلال الحرف التقليدية في المجتمع الجزائري، لا يقف عند التجريف الثقافي للهوية الوطنية، بل يمتد إلى الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ذلك أنها كانت تستوعب شريحة غير قليلة من

الأيدي العاملة، وكانت تؤسس لعلاقات اجتماعية وروابط عميقة بين أبناء كل حرفة، بما تشمله من قيم إنسانية ونظم أخلاقية تتماهى مع الروح المجتمعية المتأصلة عبر التاريخ، حتى أنه كانت هناك عائلات ممتدة لعدة أجيال اشتهرت بحرف معينة، بل كانت هناك "أحياء ومدن وقرى بأكملها في الريف والحضر والبادية اشتهرت بإنتاج أنواع معينة من الحرف، كالسجاد والفخار والحصير ومشغولات الخوص والجريد وما إليها.. وبانكماش قاعدة العمالة الحرفية الماهرة في تلك الأحياء والمدن والقرى. وتدني النظرة المجتمعية إلى المشتغلين بها، وتضاؤل العائد الاقتصادي لهم، تضاعفت مشكلة البطالة في المجتمع، وابتعد أبنائهم عن احتراف تلك الحرف أو تعلم أسرارها، بعدما لاحظوه من تدهور أوضاعهم الاقتصادية ومكانتهم الاجتماعية، باعتبارهم مجرد عمالة يدوية" (نجيب، 2011، الصفحات 30-31).

ومع ذلك فإنه مما لا شك فيه أن استلهاً أو توظيف مواد الإبداع التقليدي، أو الشعبي في أعمال ومنتجات حرفية محدثة. مع استخدام التقنيات التكنولوجية الحديثة كما وكيفا، سيساعد بلا أدنى شك في نشر الوعي القومي بأهمية الإبداع.

وليس من شك في أن عناية الدولة الجزائرية، اليوم بالفنون الحرفية، قد حفزت، ولا تزال تحفز، الحرفيين إلى استلهاً الموروث الثقافي الأصيل، وبذلك نخرج تماما كما يقول عبد الحميد يونس "من أسر التيارات الأجنبية الوافدة التي رانت على العقول والقرائح دهرا طويلا، نخرج من النقل والاقْتباس والتعريب واستلهاً ما ليس عربيا أصيلا، إلى الارتكاز في الإبداع على أنفسنا، وما في سلوكنا، وما يكمن في نفوسنا وعقولنا، وما احتفظت به ثقافتنا الشعبية من خبرة ومهارة، وما يصدر عنا بطريقة تلقائية من تقنن بالقول والحركة والتشكيل. وزوال الشعور بالنقص أمام الفنون الغربية، سيضاعف من قدرتنا على الإبداع الأصيل، وسيجعلنا ننفذ إلى جوهر النفس الإنسانية مع الاحتفاظ بمقوماتنا وخصائصنا العربية (يونس، 2015، صفحة 28).

ذلك أن ظهور نمط واحد من الثقافة الكونية في كل مجالات الحياة ومستوياتها المادية والمعنوية من شأنه أن يحول المجتمع الجزائري، إلى كتلة متشابهة ومنمطة تقتقر إلى روح الإبداع وإلى جمالية الاختلاف والتباين، وإذا أمكن لهذا التماثل الكوني أن يتحقق فإنه سيكون من الصعب عندئذ تحصين المجتمع من التبعات الممكنة (طبطوش، 2011، صفحة 28). وبالتالي فإن انتشار مثل هذه المنتجات، بما ينطوي عليه من منتجات منمذجة، سيؤدي لا محالة إلى أفول الحرف الإبداعية، وحصص انتشارها وتوزيعها في ترويج منتجات تجارية منمذجة. ذلك أننا اليوم أمام قيم جديدة قد غزت مجتمعنا، فجعلت منا مجرد مستهلكين لمنتجات غيرنا، وفي بعض الأحيان حتى مروجين لها، وهذا ما جعلتنا أمام تحد تاريخي، فإما أن نهتم بمكونات موروثنا الثقافي، ونعمل على تطويرها بما يلائم عصرنا الذي نحن فيه، وإما أن نضيع ونصبح بدون وجهة.

6. المقاومة الحرفية واستخدام معيات التكنولوجيا:

تجدر الإشارة هنا إلى أن هناك محاولات كثيرة ومن أطراف متعددة، تجرى حاليا للتأكيد على دور التكنولوجيات المختلفة في تعزيز وصون التقاليد الحرفية الجزائرية، والرقى بها إلى مستويات عليا، من شأنها حمايتها من الاندثار أولا، ومواكبة النزعة الاستهلاكية الطاغية، ورغبات المستهلكين المتنوعة والمتجددة ثانيا، وتحديات المنافسة المدعومة أليا ثالثا.

1.6 في الحاجة إلى التكنولوجيا:

لقرون عديدة، قامت الجماعات الحرفية التقليدية في الجزائر، والقائمة أغلبها أساسا في الأرياف، بتسليم مهارتها من جيل إلى جيل، بما يكفل استمرارها في اكتساب المعرفة. وطورت هذه الجماعات الحرف اليدوية في جوهرها من استخدام الموارد الطبيعية المتاحة بسهولة في بيئاتها المحلية. ولكن مع ذلك فكثير ما يميل إنتاجها إلى أن يصبح مفترقا في الطابع التقليدي والقديم ومن ثم الانفصال عن الحياة الاجتماعية. خاصة في ظل العولمة التي أحدثت تغييرا كبيرا في أنماط الإنتاج والاستهلاك في العالم. فالدفع نحو العولمة كما يحدث في الكثير من المجتمعات الآن يخلق منتجات تنتج من خلال تحديد أولوية الآلات والكميات الكبيرة. وقد صرح شومبيتر بأن الآلات قادرة بالفعل على تطوير الإبداع التكنولوجي التنافسي ولكنها مصحوبة بتدمير الإبداع". (asnita frida sebayang, 2020, pp. 150-165) ففي المصانع، تصبح الحرفة عملية ميكانيكية، ومع ذلك توفر هذه المصانع بالفعل بعض الوسائل التي يمكن من خلالها صيانة تقنيات الحرف واستخدامها. ومن ثم يمكن النظر إلى إنتاج المصانع على أنه طريقة لتكييف الحرفة مع الواقع الحديث، بدلا من الحفاظ عليه بشكل مصطنع في المتاحف أو في المناطق السياحية.

فالمعلوم أن تطوير التكنولوجيا بصفة عامة، والرقمية بصفة خاصة الذي يحدث الآن في المجتمع الجزائري، سوف يكون له تأثير واسع النطاق على حياة الناس، وسوف يتم استبدال العديد من المنتجات الثقافية القائمة بالتكنولوجيا الرقمية، وحتى العمالة البشرية سوف تحل محلها أيضا قوة اصطناعية. وفي هذا الإطار أيضا يتناقص مستهلكو منتجات الحرف اليدوية كلما أصبحت المنتجات الصناعية أكثر تطورا، مما يجبر الحرفيين على التخلي عن أعمالهم، وتختفي بذلك عدة مهارات وتقنيات تقليدية في هذا المجال، ضف إلى ذلك، أن جيل الشباب غير مهتم بتعلم التقاليد الحرفية. وهو ما أدى في نهاية المطاف، إلى تلاشي الصناعات الحرفية اليدوية وفقدانها لمكانتها في المجتمع، بينما ازدهرت المنتجات الصناعية، بسبب تفوقها في استدامة المواد وقيمها الاقتصادية.

ولأجل كل هذا، فالتكنولوجيات الجديدة المستخدمة لحد الساعة في المجتمع الجزائري، مفيدة جدا في تثمين الثقافة الحرفية التقليدية، وتوفير أساليب جديدة لحماية هذه التقاليد الثمينة. ففي الوقت الحاضر،

أصبحت هناك أجهزة قيد الاستخدام بالفعل لتعليم تقنيات/مهارات معقدة. وهي إلى جانب ذلك أيضا، تسهم في الحفاظ رقميا على تراث الحرف اليدوية، من خلال مساهمتها نقل البيانات والمهارات اليدوية والقدرات ذات الصلة إلى جانب التخزين والترميز وما إلى ذلك، وهو ما يمكن من استخدامها كأدوات تعليمية. وعلى ذلك فهناك مجالا كبيرا في المجتمع الجزائري، لتطوير أنشطة لا توثق وتحافظ على المعرفة بالحرف اليدوية فحسب، بل تكفل أيضا نقل هذه المعرفة إلى الأجيال الشابة. وعلاوة على ذلك، يمكن استخدام التكنولوجيا من أجل تعزيز إنتاجية وكفاءة الإنتاج الحرفي. وعلاوة على ذلك، ومن أجل الاستجابة لطلبات الكميات العالية، يمكن للتكنولوجيا العالية والمهارات الهندسية أن تساعد في تصميم آلات لتعزيز القدرة الإنتاجية وتسريع عملية الإنتاج التي يمكن أيضا أن توفر الوقت لتلبية طلبات العملاء في أقصر وقت ممكن. فالحرفيين بهذه التقنيات ومثيلاتها لا يستطيعون إنتاج منتجات بكميات كبيرة لتنافس الإنتاج الصناعي في السوق فحسب، بل يمكنهم أيضا تسيير وتبسيط أساليب إنتاجهم. ويتطلب إنتاج المنتجات المصنوعة يدويا بكميات كبيرة دعما ميكانيكيا للانتهاج منها ومعالجتها. ومع ذلك، يجدر بنا القول هنا، أنه يصعب رقمنة كل المعارف التقليدية، مع أن بعض التكنولوجيات تساعد في الحفاظ عليها. إلى جانب كون التفاعل البشري لا يمكن الاستعاضة عنه ببساطة بالتكنولوجيا.

2.6 الحرفيون والتكنولوجيا:

إن تحسين قدرة الحرفيين الجزائريين، على إتقان التكنولوجيا ضروري جدا في عالم اليوم، ذلك أن التطور التكنولوجي يتبعه دائما زيادة في احتياجات ورغبات المجتمع المحلي، الإقليمي، وحتى الوطني والدولي. وهو ما يدعو إلى الحاجة من جهة، للتعليم والتدريب من أجل تعزيز روح تنظيم المشاريع للحرفيين، حتى يتسنى لهم الاستمرار في الإنتاج، ولا يتم فصل الأجيال عن بعضها البعض من جهة. ومن جهة أخرى، فإن أصحاب المشاريع يلعبون أيضا دورا في توسيع نطاق وصول المنتجات من خلال التغلغل إلى مختلف الأسواق، المحلية وحتى الإقليمية والدولية، والتكيف مع التكنولوجيا الرقمية، وتصميم المنتجات المنخفضة التكلفة أو وفقا لقطاعات السوق، والمنتجات التي تقي بالجوانب المختلفة، وتقليل زمن الوصول وطريقة النقل، وتقديم خدمة ممتازة للمستهلكين.

وهو ما من شأنه أن، يرتقي بالحرفي الجزائري الصانع في نهاية المطاف إلى مرتبة المصمم. وبوصفهم مصممين، يمكنهم التركيز على عملية صنع أو اتخاذ القرارات الحاسمة بشأن المنتجات، بدلا من مجرد تنفيذها. فهذا الحرفي هو "مصمم قيد الانتظار في الوقت الحالي"، وفي هذا الإطار "أيدت الحركة البطيئة، التي نشأت في إيطاليا، قيمة الإنتاج المحلي والمهارات في مواجهة النزعة الاستهلاكية الصناعية التي ألغت الفوارق ذات المعزى بين الزمان والمكان. ولقد اتخذ رد الفعل هذا، ضد النزعة الاستهلاكية مؤخرا تعبيراً أكثر سياسية من خلال ظهور النزعة الاستهلاكية الأخلاقية... ومن المهم أيضا تعديل الأحجام المصنوعة

لتلبية أذواق جمهور يغلب عليه الطابع الحضري. وهذا يوفر دوراً لمصمم خارجي لمساعدة الحرفيون التقليديون في تطور منتجاتهم حتى تتجح في هذه السوق الجديدة الأكثر ثراءً. ودعمت اليونسكو هذه الإستراتيجية بنشر "المصممون يقابلون الحرفيين" في عام 2007، ومع ذلك، فإن المصممون لا يغفرون أنفسهم في تلك التقاليد بنفس الطريقة التي عمل بها الحرفيون... والعلاقة بين المصمم والحرفي أقرب إلى العلاقة التجارية بين الشركة الغربية والمصنع الصيني، على الرغم من أن الهدف النهائي في كثير من الحالات هو فائدة المنتج وليس ربح الشركة" (murray, 2010, p. 05).

3.6 الحرفيون والسوق:

إن مما هو متعارف عليه، أن العامل الحاسم لنجاح أي منتج، إنما يقع على عاتق المستهلك، ولذلك فإن التصميم الذي يتم وضعه، لابد وأن يتكيف مع احتياجات ورغبات المستهلكين. ولابد وأن تكون قيمة الراحة بالنسبة للمستخدم على رأس الأولويات، ولابد وأن يتبع في تحديد الحجم عدد من المعايير. فبالنسبة لأصحاب المشاريع فإن التصميم الجيد للمنتجات هو تصميم سهل الإنتاج والتوزيع، في حين أن التصاميم الجيدة للمنتجات بالنسبة للمستهلكين هي التصاميم المريحة، والتي يسهل فتحها وتركيبها واستخدامها وإصلاحها والتخلص منها. ومن ثم فالواجب أن تكون رغبات الجميع متزامنة في التصميم. ولهذا السبب، عند وضع التصاميم المحلية القائمة على الثقافة، يلزم أن تكون هناك دراية بالأسواق، ومن ضمنها الإلزام بالمنتجات المماثلة المتداولة وقبل هذا وذاك، المعرفة برغبات وأذواق المستهلكين.

ذلك أن المنتجات التي ينتجها الحرفيون التقليديون والتي لم تتمكن من مواكبة تطور أذواق المستهلكين عند فحصها من ناحية الجودة، فإنها لا تستطيع المنافسة ولا تستطيع الصمود. وتواجه الحرف التقليدية اليوم منافسة شديدة في الأسواق، لأن الأصناف المنتجة على نطاق واسع أرخص. وتعد الصين من المنافسين الرئيسيين من حيث إنتاج وتصدير الحرف اليدوية والمنتجات البديلة ذات الصلة في جميع أنحاء العالم. ويشير تقرير تقييم السوق العالمية الصادر عن وكالة التنمية الدولية التابعة للولايات المتحدة إلى أن "الصين يمكن أن تنتج أي شيء أفضل من أي شخص آخر وبأسعار أفضل" (yongzhong yang, 2018, p. 04) ومن ثم فتجارة الحرف اليدوية التقليدية اليوم إذا كانت عاجزة عن المنافسة، سوف تخرج أيضاً من نطاق العمل (الإفلاس)، بل وسوف تدمرها تلقائياً بفعل الزمن، وسوف تؤدي إلى زيادة البطالة في المجتمع. فتأكل السوق المحلية لهذه الحرف بسبب توافر البدائل المستوردة والرخيصة. قد ترك ذلك العديد من الحرف التقليدية في وضع لا يمكن تحمله.

وفي ظل هذا الوضع لا يمكن الاكتفاء بتطوير واستخدام الآلات في الإنتاج دون النظر إلى تطور السوق العالمية من خلال استخدام وتطوير تكنولوجيا المعلومات والقوى الاجتماعية التي تشكل قيماً هامة

لصناعة الحرف اليدوية. وبالمختصر فالأمر يتطلب تطوير منظورا تجاريا يجب أن يفهمه جميع أصحاب المصلحة. وهو ما من شأنه أن يدفع نحو إيجاد أسواق بديلة لهذه المنتجات، أين يتم تقدير أهميتها الرمزية بدلاً من وظيفتها العملية. ومن جانب آخر، فإنه من الأهمية بمكان تطوير تصميم وتمكين المصنوعات التقليدية للتمكن من تحسين القدرة التنافسية لمنتجاتها ونوعيتها من خلال التعليم والتدريب.

وفي نهاية المطاف، فإنه ينبغي التنبيه والتأكيد هنا، على أنه وبسبب التصنيع دائماً، أصبحت المنتجات سلعة واستعويض عن الحرف اليدوية التقليدية بمنتجات مصنوعة آلياً، أين أصبحت المنتجات المصنوعة آلياً تقدم نفس الخدمة التي قامت عليها المنتجات التقليدية. هذا من جهة، ومن جهة أخرى ونتيجة لزيادة المنافسة على الصعيد العالمي، أصبحت الحرف اليدوية تتنافس مع منتجات بديلة أخرى مماثلة، تؤدي نفس الغرض. وبالإضافة إلى ذلك، فإن تغير وتحول نمط الحياة الحديث، وتنوع الإنتاج، وانتشار البدائل المختلفة، وتنوع المبيعات يؤدي لا محالة إلى انخفاض الرغبة في صناعة الحرف اليدوية التقليدية. ونتيجة لذلك، فإن المنتجات المصنوعة يدوياً تتضاءل وستندثر بسرعة كبيرة لا محالة.

7 . آليات الإبداع في الموروث الثقافي

يقصد بالإبداع بداية كل وسيلة مبتكرة تمكننا من الحصول على تفوق نسبي على المنافسين الآخرين، وقد يكون ذلك بإدخال تكنولوجيا جديدة أو منتج جديد، أو أسلوب جديد للعمل، إلى غير ذلك. (غزالة، 2015، صفحة 99) ومن هنا فإن الإبداع الحرفي يقوم من خلال المرور على مرحلتين أساسيتين لا يكتمل إلا بوجود كليهما: مرحلة التفكير ومرحلة الإنتاج، إذ لا يكفي أن يفكر الشخص بطريقة إبداعية، بل عليه التصرف بناءً على هذه الأفكار.

1.7 . مرحلة التفكير:

- وتتم من خلال الاعتماد على التعليم، توعية وتطوير الكفاءات الحرفية.
- ويبدأ ذلك، أولاً من خلال التفكير في جمع وتعداد أنواع المنتج الحرفي المرتبط بالموروث الثقافي وإبرازه والتعريف به من خلال حصره وتسجيله،
- إلى جانب التفكير في كيفية توظيف المنتج الحرفي في التعريف بالتراث الثقافي، ذلك أنه بدون تفسير التراث للناس وتوعيتهم بأهميته لا يمكن أن تتحقق معادلة الحفاظ لديهم،
- ومنها ما يمس التفكير في شكل المنتج وخاصة البعد الجمالي منه،
- ضف إلى ذلك، ما يمس التفكير في إبراز مضامين تراثية جديدة كانت خافية،
- ومنها ما يتعدى إلى التفكير في إعادة توظيفه توظيفاً نافعاً وتشجيع إعادة إنتاج الجيد منه، ولما لا إبراز الوظائف الجديدة للمنتج.

- وأيضا التفكير في تحسين قدرة الحرفيين الجزائريين، على إتقان التكنولوجيا، وهو أمر ضروري جدا في عالم اليوم. فمثلا تمكن تقنية D3 الحرف اليدوية أو المنتجات المصممة مسبقا للحصول على طلبات مسبقة قبل حتى إنتاجها، إلى جانب، التغييرات الضرورية المطلوبة في التصميم، والشكل، واللون، وما إلى ذلك. الأمر الذي لن يؤدي إلى تحسين الكفاءة والفعالية فحسب، بل سيوفر أيضا تكلفة المنتج. وعلاوة على ذلك، من أجل الاستجابة لطلبات الكميات العالية،
- كما يمكن لتوظيف التكنولوجيا العالية والمهارات الهندسية أن تساعد في تيسير وتبسيط أساليب الإنتاج.
- ومن ثم التفكير في الارتقاء بالحرفي الجزائري الصانع في نهاية المطاف إلى مرتبة المصمم.

2.7. مرحلة الإنتاج:

- أولا يجب الانتباه في هذه المرحلة إلى مراعاة أدواق جمهور يغلب عليه الطابع الحضري. فالتصميم الذي يتم وضعه، يجب أن يتكيف مع احتياجات ورغبات المنتجين والمستهلكين في آن واحد معا. فالواجب أن تكون رغبات الجميع متزامنة في التصميم.
- الالتزام بوضع التصاميم المحلية القائمة على الثقافة، والتي تتطلب أن تكون هناك دراية بالأسواق، ومن ضمنها الإلمام بالمنتجات المماثلة المتداولة.
- إلى جانب الالتزام بمعيار القيمة الجمالية التي تراعي الذوق السليم لهذا المجتمع، ومعيار القيمة التاريخية للتعريف بتاريخ منطقة بذاتها أو تخليدا لمآثرها، ومعيار القيمة العلمية أي ما يقدمه المنتج من معارف نادرة أو دالة عن تطورات تقنية أو فنية للمهتمين، وفي الأخير معيار القيمة الاجتماعية، والتي تضيف على استخدام المنتج الحرفي أهمية للمناسبات الدينية والوطنية.
- كما أنه يلزم، أو يجب خلق الانسجام بين أجزاء المنتج الحرفي، من خلال المزاجية بين لمسة اليد الحرفية ودقة الآلة.
- إلى جانب التكيف مع التكنولوجيا الرقمية، لأجل تصميم المنتجات المنخفضة التكلفة أو وفقا لقطاعات السوق، وتقليل زمن الوصول وطريقة النقل، وتقديم الخدمة الممتازة للمستهلكين.
- وفي الأخير الدفع نحو، تعزيز روح تنظيم المشاريع للحرفيين.

8. خاتمة:

رغم كون الموروث الثقافي سجل حقيقي لمختلف البنى الفكرية، الاجتماعية، والثقافية للمجتمع، بالإضافة إلى كونه يمكن الجيل الجديد من الاطلاع على تراث الأجداد، بما يسمح بتعزيز وتحفيز قدرته الإبداعية من خلال معرفته للكيفية أو الطريقة التي واجه بها من سبقوه مشكلات حياتهم. وكونه يساعد في الاطلاع على تراث الأخر، والاستفادة من بدائله المختلفة لمواجهة تحديات المستقبل. غير أنه ورغم قيمته وأهميته لازالت النظرة إليه غير موحدة، فهناك من يعلي من شأنه وهناك من يهون من قيمته. في الوقت

الذي هيمنت فيه الثقافة الاستهلاكية المعلقة والمنمطة، والساعية للتوحيد أذواق الشعوب وحرفها. وتراجعت ملامح الثقافة الوطنية عموما، وتحولت فنونها، الحاملة لقيمهم ومظهر حضارتهم، إلى آثار من الماضي، مما أدى إلى أفول الحرف الإبداعية، وحصر انتشارها وتوزيعها في ترويج منتجات تجارية منتقاة.

فالمنتجات الحرفية الجزائرية في مجملها، تحمل تاريخا عريقا من القيم الحضارية والإنسانية، وهو ما نلاحظه من خلال مضامينها ودلالاتها الرمزية. ومع ذلك فإن اندثارها أو انزوائها - كما نراه اليوم- يعكس الحالة التي أصبحت عليها اليوم. إذ تشهد الساحة في هذه الآونة تراجعا للإنتاج الحرفي التقليدي، وامتد ذلك إلى الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ذلك أنها كانت تستوعب شريحة غير قليلة من الأيدي العاملة، وكانت تؤسس لعلاقات اجتماعية وروابط عميقة بين أبناء كل حرفة.

ولهذا تعد المقاولة الحرفية الجزائرية وليدة الظروف التي يعيشها المجتمع، وهي إحدى وسائله لاستهلاك موروثة الثقافي، وأحد أهم الميكانيزمات الاجتماعية لمواجهة أزماته الطارئة، والتمكين لمختلف الفئات الاجتماعية. ومع ذلك فإن دور المقاولة الحرفية في الجزائر قد ظهر بشكل متنامي فقط في منتصف التسعينيات، في إطار التوجه التنموي الوطني الهادف إلى تنويع الاقتصاد الوطني وترشيده، وتأهيله للمنافسة الدولية، من خلال الاستثمار في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة. ومع ذلك، فإن بقائها واستمراريتها ينبع فقط من محاولة أربابها تبني الإبداع والتجديد. إبداع يستطيع أن يساير التغير، مما يسهم في حفظ المهنة من الاندثار ويضمن لها البقاء والاستمرار. حيث أن التغيرات والتحويلات التي تحكم هذه العملية محكومة مرتبطة بالعولمة من جهة والتحويلات الجارية في المجتمع من جهة أخرى. فالأفراد يتفاوتون في إبداعهم، وكل له أسلوبه الذي يتميز به. فما يراه فرد أو طبقة اجتماعية على أنه إبداع، قد لا يراه الآخر على أنه كذلك.

وفي الأخير، وبالرغم من انكماش قاعدة العمالة الحرفية الماهرة في الجزائر، وتدني النظرة المجتمعية إلى المشتغلين بها، فإنه مما لا شك أن استلهاً أو توظيف الإبداع التقليدي، في منتجات حرفية محدثة. مع استخدام معيات التكنولوجيا الحديثة، سوف يساعد بلا أدنى شك على النهوض بالقطاع ومن ثم بالمجتمع وأفراده.

مع العلم أنه ولقرون عديدة، قامت الجماعات الحرفية التقليدية القائمة في الأرياف والمستندة في جوهرها إلى استخدام الموارد الطبيعية المتاحة بسهولة في بيئاتها المحلية. ولكن مع ذلك، فإنه في عالم اليوم، فكثير ما يميل إنتاجها إلى أن يصبح مفرطاً في الطابع التقليدي والقديم ومن ثم الانفصال عن الحياة الاجتماعية. ولذلك كان لزاماً على منتسبيها الاستفادة من التكنولوجيات الحديثة في التعليم، الإنتاج وحتى التسويق.

وكان لزاماً أيضاً على الحرفيين الجزائريين تحسين قدراتهم في التعامل مع التكنولوجيا، ذلك أن التطور التكنولوجي يتبعه دائماً زيادة في احتياجات ورغبات أفراد المجتمع على المستوى المحلي، الإقليمي، وحتى

الوطني والدولي، حتى يتسنى لهم الاستمرار في الإنتاج، في ظل المتطلبات الجديدة، من حيث مرونة التصميم، والتكلفة، وزمن الوصول.

وفي عالم أصبحت المنتجات الحرفية مسلعة (سعة)، بات نجاح أي منتج، مقرون في بداية الأمر ونهايته برضا المستهلك عامة والجزائري خاصة، الذي ينبغي ومنذ البداية مراعاة احتياجاته، رغباته وأذواقه. كما أضحت بالإضافة إلى ذلك، أن تكون هناك دراية بالأسواق، ومن ضمنها الإلمام بالمنتجات المماثلة المتداولة، لتستطيع بذلك المنتجات التي ينتجها الحرفيون التقليديون الجزائريون المنافسة والصمود. ومع مراعاة كون الأصناف المنتجة على نطاق واسع أرخص.

8. قائمة المراجع:

- التجاني م. ا. (2019). القيم الجمالية التصميمية في الموروث الثقافي لاواسط السودان ودورها في تعزيز شكل ومضمون الشعار رسالة دكتوراه. 70، السودان: جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا.
- الجابري م. ع. (1993). نحن والتراث. بيروت: المركز الثقافي العربي.
- الجابري م. ع. (1999). المسألة الثقافية في الوطن العربي. (02. éd.) بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- الجوهري م. (2002). الابداع والتراث الشعبي من وجهة نظر علم الفولكلور Dans م. م. الجوهري، التراث الشعبي في عالم متغير. (01, pp. 20-21) éd. القاهرة: مركز البحوث والدراسات الاجتماعية.
- الجوهري م. (2002). الابداع والتراث الشعبي وجهة نظر علم الفولكلور Dans م. م. الجوهري، التراث الشعبي في عالم متغير. (12-14) pp. القاهرة: مركز البحوث والدراسات الاجتماعية.
- الجوهري م. (2015). حماية التراث الشعبي دور مستقبلي لعلم الفولكلور. مجلة الفنون الشعبية 117, (100).
- حاجي س. ع. (2016). واقع الصناعة التقليدية بين قصر النظر التسويقي وتحديات المنافسة. مجلة الريادة لاقتصاديات الاعمال. 49-50, (01) 02 ,
- خليفة، ع. ع. (2013). تأصيل القيم التراثية في وجدان الجيل. مجلة الثقافة الشعبية. 19, (20)
- طبطوش، ن. (2011). القنوات الفضائية وأثرها على القيم الأسرية لدى الشباب. الجزائر: كنوز الحكمة.

- عليان ج. (2005). *الحفاظ على التراث الثقافي نحو مدرسة عربية للحفاظ على التراث الثقافي وإدارته*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- العمودي ج. ب. (2012). *استراتيجية تنمية قطاع الصناعة التقليدية والحرف بالجزائر في الفترة 2010-2003 رسالة ماجستير*. 38, ورقة, قسم العلوم الاقتصادية.
- عوض ش. م. (2011). *الصناعات الحرفية طريق للتنمية المستدامة* (1. 1. للكتاب (Éd.), مجلة الفنون الشعبية. 12, (89)
- الفتح ع. ف. (2012). *الثقافة الشعبية وتنمية الحرف التقليدية، دراسة أنثروبولوجية لبعض قرى المجتمع المصري* مجلة اضافات. 85, (10)
- القرونوتي م. (2002). *ديناميات التجديد في العادات الشعبية دراسة لبعض عادات الميلاد*. Dans الجوهرى, *التراث الشعبي في عالم متغير*. (éd. 01, p. 255). مركز البحوث والدراسات الجامعية.
- محمد ابو غزالة. (2015). *إدارة المشاريع الصغيرة*. عمان: أمجد للنشر والتوزيع.
- نجيب ع. ا. (2011). *الحرف التقليدية...الواقع...الأزمة...النهضة*. مجلة الفنون الشعبية (89), 29.
- نجيب ع. ا. (2011). *الحرف التقليدية...الواقع...الأزمة...النهضة* مجلة الفنون الشعبية (89), 30-31.
- يونس ع. ا. (2015). *المأثورات الشعبية طابعها القومي والانساني* مجلة الفنون الشعبية (100), 28.
- Asnita Frida sebayang, i. i. (2020). *local economic innovation: lesson from rotan ketak industry in central lombok regency indonesia*. *international journal of economics developement research*, 01 (02), 150-165.
- Lipe, W. (1984). *value and meaning in cultural resource*. london: cambridge university press.
- Murray, K. (2010). *outsourcing the hand: an analysis of craft-design collaboration across the global divide*. *craft+design enquiry*, 02, 05.
- Yongzhong Yang, m. s. (2018). *preservation of cultural heritage embodied in traditional crafts in the countries*. *sustainability* (10), 04.